

تمرين بصري على خيانة النحات لنص الشاعر

الفنان العراقي وليد رشيد قببسي يقدم معدلا بصريا لأشعار شربل داغر

علاقة التشكيل بالشعر لها علامات فارقة في الثقافة العربية، لكن هذه العلاقة لم تكن دائما متوازنة، فغالبا ما ينتصر أحد الفنين على الآخر في التجارب التي خاضها فنانون تشكيليون غامروا مع نصوص الشعراء العرب.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية



تحت عنوان "تمرين النظر"، قدم الفنان العراقي وليد رشيد قببسي في صالة أجيال البيروتية خلاصة مغامراته التشكيلية التي خاضها مع كلمات الشاعر والأكاديمي اللبناني شربل داغر، وقد اختار من أشعاره ما بنى عليه نصه الفني.

الصلة التي تجمع بين الفنان والشاعر هي «تمرين النظر» على القراءة مزدوجة الأبعاد تحت شعار «للقلب منطلق لا يفهمه العقل»

تجدر الإشارة هنا إلى أن الشاعر داغر لبناني الجنسية، من مواليد 1950 وهو أستاذ في جامعة البلمند ويحمل شهادتي دكتوراه في الآداب العربية الحديثة وفي فلسفة الفن وله ما يزيد عن ستين كتابا باللغتين العربية والفرنسية.

إعرايا لشكل

في المعرض 23 قطعة فنية ثلاثية الأبعاد أراد منها الفنان أن تكون ترجمة مفتوحة وتاويلية لكلمات الشاعر المختارة من مجموعته الشعرية "إعرايا لشكل" غير أنها جاءت في معظمها خيانة للنصوص المبني عليها وهروباً من مناخها الذي تطلق عليه التصدعات المشهية والشعرية على السواء.

للهولة الأولى قد يحلو لزائر المعرض ولمتصفح الكتيب المرافق للمعرض، والذي يضم أشعار شربل داغر، أن يقول في نفسه "ربما كان من الأنسب أن يختار الفنان عنوان تمرين على خيانة النص" بدلا من العنوان الذي وضعه ليصبح من ناحية مدخلا إلى إحصار النوافذ التي فتحها الفنان في نصوص الشاعر، ومن ناحية أخرى دعوة إلى التهدج في المطبات الشعرية التي لغم فيها الشاعر شربل داغر نصوصه.

غير أن زائر المعرض، ما يلبث أن يجيد عن هذه الفكرة، فهذه ليست التجربة الأولى ولا الأخيرة التي يتلاقى فيها مبدعان من عالمين متجاورين أو متداخلين كالشعر والفن البصري، ولكنها حتما تجربة فريدة تشي بالتشنج العاطفي الذي يكاد يشبه غزلا يتسابق فيه الطرف الأول للاستحواذ على قلب الآخر والعكس صحيح.

المشاهد يقف أمام المعلمين كوسيط خير يقارب ما بين الإثنين المتباعدين والمتحابين حتى ينسى ما هو القوام على الآخر، الشعر أم العمل الفني. تنتهي محاولته إلى الركون، ربما، إلى حقيقة واحدة وهي أن الصلة شبه الوحيدة التي تجمع بين الإثنين هي فعلا "تمرين النظر" على القراءة مزدوجة الأبعاد تحت شعار "للقلب منطلق لا يفهمه العقل".

أول ما يدخل الزائر إلى المعرض يرى في الأعمال المنتشرة في الصالة بأسلوب فني متناغم، وكأنها توائم وأحجيات تغطي عليها الألوان الترابية الغالبة على قلب الفنان المولع بالنحت وقولبة الطين والتشكيل بالسيراميك والمواد الدخيلة المختلفة. أحجية يرصد

بها الفنان أحواله الفكرية والشعرية التي لها صداها في شعر الشاعر، على الأقل في مخيلته وكيانه كفنان متمرس ومبدع.

غير أن الزائر لا يلبث أن يرى فيها بيوتا منفتحة على أشكال كتب مختلفة الأحجام والتصميم، يهندس الفنان بيوته شبه المسطحة كصفحات من كتاب، يسرد دواخل المنازل الورقية المكوّرة بتقنية نحات ماهر. منازل من المستحيل أن يعرف المتلقي من أين تبدأ وأين تنتهي، تماما كما في شعر شربل داغر.

غير أن الاختلاف بين النصين الفنيين يكمن في أن شعر الشاعر، أو

على الأقل المقاطع التي بنى عليها الفنان نصه، متقطعة وأفقية إذا صح التعبير. ينتقل فيها القارئ من ومضة إلى ومضة دون العثور على مداخل إلى أشياء الأفكار التي أخرجتها إلى علن الكلمات الموصوفة.

جدران ونوافذ

نص الشاعر شذرات. ولجها الفنان قلبها رأسا على عقب دون أن ينتج عن هذا شللا في جمالياتها وقابليتها أن تحاكي المتلقي بما يريد أن يرى فيها بعيدا أو تماشيا مع ما اراده الشاعر.



تشكيل بصري بلغة النحت

أما ماهية ما يقدمه الفنان في منزله شبه المسطحة التي لا تنسك ولا للحظة أنها عمل فنان/نحات، فترفض أن تظهر وكأنها آثار لمنازل درامية مهجورة، بل هي أماكن نسيت نكرياتها ككل منفصل عنها لأنها أصبحت جزءا أساسيا من تكوينها. لم يعد هناك فرق ما بين ماهية المنازل/المدونات وما تحمله من مشاهدات وتجارب. ربما هنا تحديدا يحصل لقاء النصين من خلال كونهما تجسيدا فلسفيا لتجارب وجدانية ومعيشية متلاحقة ومتداخلة بتواتر يُغيب الفاصل ما بينها. النصان الفنان المتطرفة وجماعة الإخوان، والتركيز على المفارقات الإنسانية.

أما نص الفنان فما يكاد المتلقي يعبره، أو يتمله بنظره حتى يستوقفه كي ينفذ إلى دواخله المفضية إلى أروقة شبيهة بـ"جدرانته" الخارجية ليحل معنى مُلح وهو أن الخارج هو الداخل والعكس صحيح.

وما يكثف من فكرة أن هذه الصفحات هي جدران لمنازل هو أن المشاهد يعثر في مشاهداته على نوافذ مفضية ومظلة على صفحات خلفية تتلامح الللال فيها، وتبرز فيها الزوايا العنمة، كما يعثر على منزلقات تنطلق من بنيان المنازل/ الكتب الداخلية كجسور أو طرقات منسحقة إلى الخارج حيث يقبع المشاهد متفرجا.

الفنان محمد عبلة يؤسس مدرسة لتعليم الكاريكاتير في مصر



متحف الكاريكاتير في الفيوم... أسسه الفنان قبل 10 سنوات

مع انتمائه إلى التشكيل بالورقة، غير أنه عاش في أحضان الصحافة حتى بات مصنفا كمكان مرسوم للرأي، سواء اعتمد على الرسم فقط أو تضمن نصا في الرسم يأتي لتفعيل مضمونه الكوميدي بصورة أكثر وضوحا. وصمم المتحف على هيئة قباب ملحقة بفتحات زجاجية لدخول ضوء الشمس، ووضع الكاريكاتير على قدم المساواة مع الفنون التشكيلية الأخرى بلا تمييز، ليندمج في بعض اللوحات القديمة ويعبر عن مياه الأنهار والطبيعة التي تلتصق بعالم محمد عبلة، وتنقله المستمر بين منزله بجزيرة القرصاية وسط نيل القاهرة والتي يقطنها البسطاء، ومتحفه في الفيوم ويظل في خلفية الرسامين الشباب الذين يبدون إلى قرية تونس لتصوير الحياة البكر داخلها.

تؤرخ الأعمال المعروضة في المتحف لاهتمامات الفنانين التشكيليين خلال السنوات التسع الأخيرة التي تراوحت بين مهاجمة عنيفة لعهد الرئيس الأسبق حسني مبارك وتأييد ثورة يناير، وفضح التنظيمات المتطرفة وجماعة الإخوان، والتركيز على المفارقات الإنسانية.

العيش، ولا تخلو أعماله من وجوه أبناء المدينة الصاخبة أو العاملين فيها والعابرين منها، مع مسحة حنين دائمة للطين والنيل اللذين ارتبط بهما على مدار حياته ربما لنشأته في بيئة ريفية بمحافظة الدقهلية شمالي القاهرة.

وأشار لـ"العرب" إلى أن مصر بها تراث نادر للرسم الساخرة في الشرق الأوسط وأفريقيا، رغم أنها جاءت تالية بعد الشام في الطباعة وظهور الصحافة، بسبب الأسلوب الخاص ومواكبة الأحداث المجتمعية والواقعية والطبيعة الشخصية لغالبية السكان في مهلم للسخرية والنكتة كوسيلة للنقد السياسي.

يُعتبر عبلة من التشكيليين القليلين الذين لم يتعاملوا بحساسية مع الكاريكاتير، فرغم كون الأخير الأكثر شعبية بين الفنون التشكيلية، لكنه لا يحظى باهتمام وتقدير النقاد والباحثين الذين يرونه ولد عاقا.

ثورة 25 يناير 2011، أن الكاريكاتير قادر على التعبير عن قضايا غاية في المأساوية عبر رسومات تجلب الضحك والسخرية معا.

أوضح عبلة لـ"العرب" أن تعلقه بالكاريكاتير دفعه إلى حفظ تراث يعاني تجاهلا من المؤسسات الثقافية الرسمية، فمؤسسة دار الهلال (حكومية) التي ضمت أهم مجلات الكاريكاتير في مصر ضاع أرشيفها المصور بالكامل لعدم العناية بحفظه، وصحيفة الأهرام الحكومية أيضا لا تملك حاليا أصول رسومات أشهر رساميها، صلاح جاهين.

زادت أهمية المتحف بعد حريق المجلس الأعلى للصحافة منذ تسع سنوات، وضاع معه الكثير من التراث الصحافي لمصر المحفوظ على أشرطة "المايكرو فيلم"، وهو شريط فيلمي ملفوف حول دائرة بلاستيكية، وهو بطاقة فيلمية مسطحة تترتب فيها اللقطات بشكل أفقي وعمودي.

يضم متحف الكاريكاتير صحفا نادرة منذ النصف الأول في القرن الماضي، مثل أعداد من "الفكاهة" و"الضحك" و"الكشكول" و"الشعلة" و"الجبل الجديد"، بإجمالي نحو 500 لوحة كاريكاتيرية تتضمن نقدا للأوضاع السياسية والاجتماعية بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويحوي الكثير من الأعمال النادرة للفنان يعقوب صنوع، أستاذ الريشة الحادة، الذي اعتاد توجيه انتقادات حادة للمسؤولين، وأنشأ مجموعة كبيرة من الصحف التي كانت دائما ما تتعرض للإغلاق بسبب قوة رسومه مثل: "من أبوظنارة" إلى "رحلة أبوظنارة" و"النظارة المصرية"، و"أبوصفارة" و"أبوزمارة"، ثم "الحاوي" و"الوطني المصري".

لم يزاو عبلة فن الكاريكاتير لكن نقل فحواه إلى لوحاته التي تتضمن مناهات ودوامات الحياة التي يغرق فيها المصريون بحثا عن لقمة

تشهد الصحافة المصرية تراجعاً حالياً في مساحات نشر الأعمال الكاريكاتيرية التي تحمل مساحات كبيرة من الانتقاد للمسؤولين، وسط سيادة اعتقاد بان الحكومة لا تقبل طبيعته كفن يعتمد على المبالغة في القضايا التي يتناولها.

تشارك في مدرسة الكاريكاتير مجموعة من الرسامين المصريين المشهورين باتجاهاتهم الفنية المختلفة

أكد الفنان التشكيلي الذي كان من بين أعضاء لجنة الخمسين التي ساهمت في إعداد الدستور المصري السابق، وشارك في غالبية لوحات الجرافيتي بميدان التحرير في خضم للسخرية من ضعف الملكة.

الرسامين لتشجيعهم، بجانب مسابقة دولية للرسم الصامت والبيوتريّة الساخر.

يرتبط الفنان محمد عبلة بعلاقة فريدة مع عالم الكاريكاتير منذ طفولته، فالفنان الشهير أراد مزاولته بشدة لكنه افتقد حس الدعابة، وحول شغفه إلى إنشاء المتحف الوحيد من نوعه في الشرق الأوسط في قرية تونس بالفيوم الذي يضم لوحات ومقتنيات نادرة لكبار الفنانين المصريين الراحلين.

وقال لـ"العرب" إن حبه للكاريكاتير تحول إلى هواية لا يزال متعلقا بها فجمع على مدار حياته رسوما تخلد فنا ارتبط بعصر الفراشة، عبر تسجيلها على قطع من الأحجار والبرديات المختلفة أو جدران المعابد، واستخدمه العمال في انتقاد الملكة حتشبسوت لعدم منحهم الأجر والطعام الكافين، ورسما قضا يخدم فارا برتدي زي كبار الدولة، وأسدا يلعب مع فريسته للسخرية من ضعف الملكة.

ملي حجابي
كاتبة مصرية



الفيوم (مصر) - يعتزم الفنان التشكيلي محمد عبلة إنشاء مدرسة متخصصة لتعليم "الكاريكاتير" للصغار والكبار قريبا، بمشاركة مجموعة من الرسامين المصريين المشهورين لحفظ فن يعتبره كثيرون امرأة عاكسة للأوضاع السياسية والاجتماعية، بمناسبة مرور عقد على افتتاحه متحف الرسوم الساخرة بمحافظة الفيوم في جنوب غرب القاهرة.

المتحف المبني على الطراز النوبي في قلب واحة صحراوية مليئة بالنخيل، يعقد فعاليات فنية تمتد حتى نهاية مارس المقبل، بمشاركة فنانين من مشارب مختلفة، بعد أسابيع فقط من استضافته لورش فنية لتجميع الأعمال الخاصة بالشباب وعرضها على كبار



جانب من معروضات المتحف الذي أسسه محمد عبلة